جـامـعة الزقازيق
كلية التربية
قسم أصول التربية

# الخطاب التربوي عند الصوفية
# دراسة تحليلية

بحث مقدم ضمن متطلبات الحصول على درجة دكتوارة الفلسفة
في التربية " تخصص أصول التربية "

إعداد

**محمد عبدالرحمن محمد الأنورمحمد القادرى**

إشراف

الأستاذ الدكتور
**حمدى حسن المحروقى**
أستاذ أصول التربية
والعميد الأسبق بكلية التربية
جامعة الزقازيق

الأستاذ الدكتور
**عبدالمنعم عبدالمنعم نافع**
أستاذ فلسفة التربية
وعميد الكلية ونائب رئيس الجامعة لشؤون
التعليم والطلاب السابق جامعة الزقازيق

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣م

# الخطاب التربوي عند الصوفية
# دراسة تحليلية

**الملخص**

انتشر التصوف انتشارًا كبيرًا فى المجتمع الإسلامي، حتى أنه أصبح يُمثل قطاعًا كبيرًا من المسلمين، سواء فى الماضى، أو فى العصر الحاضر، وأصبح التيار الصوفى يُمثل تيارًا فكريًا دينيًا مؤثرًا فى الحياة، وتعد مصر واحدة من أهم دول العالم الإسلامى التى انتشر فيها التصوف انتشارًا سريعًا منذ أن وطأت أقدامه داخل المجتمع المصرى حتى عصرنا الحاضر، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الشعب المصرى الذى يميل إلى التدين بطبعه وإلى كل ما يتعلق بدين الله تعالى.

## Summary

Sufism has spread widely in the Islamic community, so that it has come to represent a large segment of Muslims, whether in the past or in the present era, and the Sufi current has become an influential religious intellectual stream in life, and Egypt is one of the most important countries in the Islamic world in which Sufism has spread widely. quickly since it set foot in Egyptian society until our present time, and perhaps this is due to the nature of the Egyptian people who tend to be religious by nature and to everything related to the religion of God Almighty.

**تمهيد:**

انتشر التصوف انتشارًا كبيرًا فى المجتمع الإسلامي، حتى أنه أصبح يُمثل قطاعًا كبيرًا من المسلمين، سواء فى الماضى، أو فى العصر الحاضر، وأصبح التيار الصوفى يُمثل تيارًا فكريًا دينيًا مؤثرًا فى الحياة، وتعد مصر واحدة من أهم دول العالم الإسلامى التى انتشر فيها التصوف انتشارًا سريعًا منذ أن وطأت أقدامه داخل المجتمع المصرى حتى عصرنا الحاضر، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الشعب المصرى الذى يميل إلى التدين بطبعه وإلى كل ما يتعلق بدين الله تعالى.

وقد أدى التيار الصوفى دورًا بارزًا فى الثقافة المصرية حتى أنه لايمكن دراسة الثقافة المصرية عبر تاريخها، منذ أن دخلها الدين الإسلامى دون دراسة الأثر الاجتماعى والتربوى والفكرى للتصوف الإسلامى، وذلك لِما للتصوف من أثر عميق فى تشكيل وجدان الإنسان، ولذلك فإن الدين الإسلامى يستهدف فى جوهره تحقيق أهم الأغراض فى حياة الإنسان والتى تتمثل فيما يلى:

١- العلاقة مع الله.

٢- العلاقة مع الإنسان( علاقته بالآخر- علاقته مع نفسه).

٣- العلاقة مع الطبيعة.

وهذ هى أهم المحاور التى يرتكز عليها منهج التيار الصوفى من أجل وضع منهج حياة شامل ومتكامل للانسان، ولذلك فقد اتسم المنهج الإسلامى للحياة البشرية بالواقعية والاستجابة لطبيعة الإنسان وطبيعة الظروف التى تحيط بحياته فى الكون ومدى طاقاته الواقعية الحقيقية، وبالتالى فإن التصوف بوجه عام فلسفة حياة وطريقة معينة فى السلوك يتخذهما الإنسان لتحقيق كماله الأخلاقى، وعرفانه بالحقيقة، وسعادته الروحية.

## أولًا: مفهوم التصوف

تعددت وتنوعت الآراء العلمية التى ردَت كلمة التصوف إلى أصلها، ويعد هذا المفهوم (التصوف)، ورغم كثافة ما طرح فى هذا الشأن إلا أنه يدور غالبًا حول عدة محاور والتى تتمثل فيما يلى:

### ١-المفهوم اللغوى

الأصل الاشتقاقى للتصوف يتمثل فيما يلى:

- الصوفانة وهى البقلة الصغيرة ويعنى هذا من الناحية الحياتية التسليم بما صنعه الله وخلقه.
- أو يرجع إلى قبلية صوفة التى كانت تقوم على خدمة الكعبة.
- أو يعود إلى صوفة القفا وهى الشعر النابت فى قفا الإنسان ومعناه أن المتصوف به معطوف إلى الحق مصروف به عن الخلق لا يريد به بدلًا ولا ينبغى عنه حولا.
- الاشتقاق اللغوى الغالب يرجع التصوف إلى لبس الصوف، وهو شعر الضأن الذى كان لباسًا رخيصًا وقت ظهور المتصوفة، ويرى المتصوفون أنه يذلل النفس الشاردة ويكسر نخوتها لتلتزم التذلل والمهانة وتعتاد على القناعة.(١)
- التصوف مصدر مشتق من الفعل الخماسى المصوغ من صوف أى لبس الصوف وهو لبس العباد وأهل الصوامع.(٢)
- وهناك من يرجع كلمة التصوف إلى الكلمة اليونانية سوفيا والتى تعنى الحكمة.(٣)

### ٢-التصوف اصطلاحًا

**يعرف التصوف** بأنه الأخذ بالحقائق، والياس مما فى أيدى الخلائق(٤) وهذا التعريف له جانبان: الزهد فى الدنيا، والنظر إلى حقيقة الدين وعدم الاكتفاء بظاهر تكاليفه، **كما يعرف التصوف** بأنه تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجابهة الدواعى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، والنصح لجميع الأمة، مع إتباع الرسول ﷺ فى المنهج

إلإسلامى[٥] والملاحظ أن هذا التعريف يتميز بتركيزه على البعد الاجتماعى، فالتصوف ليس إنغلاقًا على الذات أو إنعزالًا عن شؤون المجتمع وقضاياه.

**فالتصوف** هو تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية، لتزكية النفس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الباطن، لنيل السعادة الأبدية، وهذا التعريف من أكثر التعريفات المتوافقة مع التربية، لأنه يجعل من التصوف تربية للنفس البشرية، وذلك بالتدريب على العبودية، حتى تلتزم بأحكام الربوبية، وهو علم يعرف به كيفية السلوك إلى ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرزائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، أو غيبة الخلق فى شهود الحق مع الرجوع إلى الأثر، وأوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة.[٦]

كما يعرف **التصوف** بأنه هو علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعادتهم، وهو تعريف تربوى بما يتضمن من عناصر تتوافق وعناصر بعض التعريفات المعاصرة للتربية، باعتبارها تنمية الشخصية الإنسانية فى مختلف جوانبها إلى الحد الأقصى الذى يمكن أن تصل إليه.

## ثانيًا: نشأة التيار الصوفي وتطوره

مر التيار الصوفي وتطور عبر مراحل متتابعة، بدءًا من نشأته، إلى أن تبلورت مضامينه نظريات متكاملة، متأثرًا فى ذلك بالأحداث والظروف السياسية والاجتماعية التى شهدها تاريخ المسلمين، ومتفاعلًا مع الاتجاهات الفكرية الوافدة التى اتصل بها، وتعايش معها، حيث إنه لم يكن ليوجد مكتملًا دفعةً واحدة، متخطيًا سنة التطور التى تحكم صيرورة الاتجاهات الفكرية والثقافية.

ولقد مر التيار الصوفي في مصر بمراحل متعددة، حيث ترجع علاقة مصر بالتصوف إلى القرن الثالث الهجرى، والعصور التى مر بها التيار الصوفى في مصر هي كما يلي:

- مرحلة القرون الثالث، والرابع، والخامس، والساددس، والسابع الهجرى.
- مرحلة العصر المملوكي.

- مرحلة العصر العثماني.[٧]

ويمكن إيضاح ذلك من خلال المراحل التالية:

**١-مرحلة القرن الثالث عشر الهجرى ( القرن التاسع عشر الميلادى).**

لما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢١٣هـ- ١٧٩٨م، كان الذى يتولى شؤون التيار الصوفى فى مصر هو ( السيد خليل البكرى) الذى لقب بشيخ مشايخ الطرق الصوفية، والسجادة البكرية، كما كانت تضاف إليه فى بعض الأحيان (نقابة الأشراف)، وقد أصبح للتيار الصوفى منذ القرن التاسع عشر الميلادى مشيخة عامة لصاحبها التكلم على جميع الطرق، وأصبح لكل طريقة شيخ، ولكل شيخ خلفاء فى القرى، ونواب فى المراكز والمدريات، ولكل خليفة مريدون، والشيخ يدير أمر الخلفاء.[٨]

وقد تم استصدار لائحة رسمية للطرق الصوفية وذلك فى ٢ يونيو ١٩٠٣م، وهى اللائحة التى لا يزال معمولًا بها حتى الآن، والتى تشتمل على على ستة عشر مادة، والتى جعلت شيخ مشايخ الطرق الصوفية يدير شؤون الصوفية بواسطة مجلس صوفى يختص بشؤون الصوفية، وإلى جانب هذه اللائحة الرسمية لائحة أخرى داخلية صادرة عن المجلس الأعلى الصوفى بتاريخ ١٧ صفر ١٣٢٣هـ- ٢٣ إبريل ١٩٠٥م،[٩] وهذه اللائحة منظمة لأعمال المجلس وإصلاح الطرق، فهى تجيز زيادة طرق جديدة متى كانت الطريقة الجديدة لا تتشابه مع الطرق الموجودة فى اسمها أو اصطلاحها، حتى وصل عدد الطرق فى عام ١٩٠٦م إلى ثلاث وثلاثين طريقة، ولكن فى الحقيقة أن معظم هذه الطرق المستحدثة وأغلبها كانت فروعًا من طرق أقدم، وقليل جداً من هذه الطرق ما يمتاز بخصوصية معينة عن الأصل القديم.[١٠]

وفى عام ١٨٤٩م صدر كتيب من مشيخة الطرق الصوفية يُحدد الطرق الصوفية المعتمدة فى هذا الوقت، وهذه الطرق التى تضمنها هذ الكتيب عشرون طريقة هى كما يلى:[١١]

١- الطريقة الرفاعية. ٩- الطريقة الحلبية الأحمدية.

٢- الطريقة القدرية.
٣- الطريقة المرزوقية الأحمدية.
٤- الطريقة المنايفية الأحمدية.
٥- الطريقة الكناسية الأحمدية.
٦- الطريقة السلامية الأحمدية.
٧- الطريقة الإمبابية الأحمدية.
٨- الطريقة الحمودية الأحمدية.
١٧- الطريقة السقيانية الأحمدية
١٨- الطريقة الدامرداشية.
١٠- الطريقة الشعبية الأحمدية.
١١- الطريقة الشناوية الأحمدية.
١٢- الطريقة البيومية الأحمدية.
١٣- الطريقة البرهامية.
١٤- الطريقة الشاذلية.
١٥- الطريقة العيسوية الشاذلية.
١٦- الطريقة العفيفية الشاذلية.
١٩- الطريقة الشعرانية.
٢٠- الطريقة السعدية.

**٢-مرحلة القرن الرابع عشر الهجرى(القرن العشرين).**

فى عام ١٨٩٢م تولى (السيد محمد توفيق البكرى) مشيخة الطرق الصوفية، وأصدر لائحة رسمية هذه اللائحة التى جعلت شيخ مشايخ الطرق الصوفية يدير شؤون الصوفية بواسطة مجلس صوفى يختص بشؤون الصوفية، ويتكون هذا المجلس من رئيس وهو شيخ مشايخ الطرق، وأربعة أعضاء من مشايخ الطرق ينتخبهم الرئيس من بين ثمانية أشخاص من مشايخ الطرق، وهؤلاء الثمانية تنتخبهم جمعية عمومية من مشايخ الطرق يحضرها خمسة وعشرون شخصًا على الأقل بأغلبية الآراء، وانتخاب هذا المجلس يتجدد كل ثلاث سنوات.[١٢]

ومما يدل على جدوى رسالة الطرق الصوفية فى العصر الحديث من أن الإمام محمد عبده كان يؤمن إيمانًا راسخًا بفاعلية المنهج الصوفى فى التربية، والإصلاح الدينى والاجتماعى، فكان مما قاله للشيخ محمد رشيد رضا (إذا يئست من إصلاح الأزهر فإننى أنتقى عشرة من طلبة العلم، وأجعل لهم مكانًا عندى فى عين شمس أربيهم فيه تربية

صوفية مع إكمال تعليمهم)، ويعقب رشيد رضا على ذلك (ولو تم للأستاذ الإمام هذا على الوجه الذى يريده لكان أعظم أعماله فائدة).[١٢]

ومنذ قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م، أدرك القائمون على شؤون الصوفية ضرورة إصلاح وتطوير الطرق الصوفية بما يتماشى مع مظاهر النهضة المعاصرة فى مختلف النواحى الاجتماعية والثقافية، فشُكلت اللجان وتحققت كثير من ضروب الإصلاح من أبرزها تطوير الاحتفال بالموالد، حيث أصبحت الموالد الآن وما زالت مجالًا واسعًا للتوجيه القومى والإعلام.[١٤]

ولقد سارع المجلس الأعلى الصوفى بإعلان تأييده للثورة، مؤكدًا أن الطرق الصوفية تنعم بازدهار بسبب تشجيع الثورة وقائدها العظيم، الذى وصفته بأنه بهذا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله، وأن ما يقوم به يتفق مع جوهر الرسالة الإسلامية، لذا وفى عام ١٩٥٨م تم تعيين الشيخ محمود علوان، شيخ الطريقة العلوانية الخلوتية، وجاء قبول الشيخ لهذا المنصب موافقًا لنظام المجلس الأعلى الصوفى، وكان هذا القبول يُشير إلى امتثال الشيخ محمود علوان للدور الذى أراده النظام السياسى للطرق الصوفية، لأنه لم يكن بوسع مشايخ الصوفية إلا أن يمتثلوا للدور الذى أراده النظام لهم،[١٥] وفى هذا العام أصدرت مشيخة الطرق الصوفية مجلة تسمى بإسم (الإسلا والتصوف)، ثم بعد ذلك تغيير الإسم إلى مجلة (التصوف الإسلامى).

وبعد وفاة الشيخ محمد محمود علوان، تولى منصب مشيخة الصوفية الشيخ محمد محمود السطوحى، وكان ذلك فى عام ١٩٧٩م، حتى أن توفاه الله عام ١٩٨٣م، ثم بعد ذلك تم تعيين الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى نائب رئيس جامعة القاهرة، وأستاذ التصوف بها، وكان والداه من أشهر الصوفية القدامى، وهذه كانت أول مرة يشغل فيها هذا المنصب الشرفى رجل صوفى يحمل الدكتوراة، كما كان تعينيه على اللائحة الجديدة للطرق الصوفية، الصادرة فى أوائل الثمانيات.[١٦]

وقد تولى بعد ذلك الشيخ أحمد عبدالهادى القصبى، الذى كان يشغل محافظًا لمحافظة الغربية، وتعد هذه هى المرة الأولى الذى يتقلد فيها أحد السياسين مشيخة الطرق الصوفية، وكان ذلك عام ١٩٩٤م حتى وفاته عام ١٩٩٧م، ثم بعد ذلك تولى الشيخ حسن الشناوى رئاسة الطرق الصوفية من عام ١٩٩٧م حتى أن مات عام ٢٠٠٨م، ثم بعد ذلك حدث خلافات داخل مشيخة الطرق الصوفية، فأسندت المشيخة لفترة قصيرة إلى نقيب الأشراف السيد أحمد كامل ياسين وذلك فى عام ٢٠٠٨م، إلى أن جاء الشيخ عبدالهادى أحمد عبدالهادى القصبى وتولى مشيخة الطرق الصوفية فى عام ٢٠٠٨م، ولا زال يتولاها حتى الآن.

## ١-أهم الطرق الصوفية الموجودة في العصر الحالي.

الطرق الصوفية كثيرة جدًا يصعب حصرها أو يستحيل، ولكن يذكر الباحث بعض الطرق الكبار، والمراد الطرق التى نشأت بعد القرن السادس الهجرى وما بعده، لأن الطرق التى نشأت فى القرنين الثالث والرابع الهجريين قد انتهت، وإن كانت هى الأساس الذى قامت عليه الطرق الصوفية المتأخرة، ومن أهم الطرق الصوفية الموجودة فى القرن العشرين وأوائل القرن الحادى والعشرين ما يلى:[١٧]

١- **الطريقة القادرية:** وهى المنسوبة للشيخ عبدالقادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١هـ.

٢- **الطريقة الشاذلية:** تنسب لأبى الحسن الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦هـ، ويتفرع من هذه الطريقة طرق كثيرة منها (العزمية، والتهامية، والحامدية، والمحمدية، والإدريسية).

٣- **الطريقة الأحمدية:** أسسها الشيخ أحمد البدوى، المتوفى سنة ٦٧٥هـ، والتى من فروعها ( الزاهدية، والإدريسية، والجعفرية، والسطوحية، والشناوية).

٤- **الطريقة الرفاعية:** مؤسسها الشيخ أحمد بن على الرفاعى، المتوفى سنة ٥٧٨هـ، ومن فروعها ( البازية، والحبيبية، والملكية).

٥- **الطريقة التجانية:** ويسمون أنفسهم الأحباب، وقد أسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التجانى، المتوفى سنة ١٢٣٩هـ.

٦- **الطريقة البرهامية:** أسسها الشيخ إبراهيم الدسوقى، المتوفى سنة ٦٧٦هـ، ويتفرع منها الطرق الآتية(المجاهدية، والشهاوية، والشرنوبية، السعيدية).

٧- **الطريقة الهاشمية الخلوتية المحمدية:** أسسها الأستاذ الدكتور محمد محمود أبو هاشم، وقد صدر قرار المجلس الأعلى الصوفى باعتمادها طريقة صوفية خاضعة لأحكام القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦م الخاص بنظام الطرق الصوفية ولائحته التنفيذية فى الثلاثاء ١١ شعبان ١٤٠٠هـ- ١٤ يونية ١٩٨٠م.

وبالتالى فإن الطرق الصوفية بفروعها تزيد عن سبعين طريقة.

## ثالثًا: جوانب إعداد الصوفي في ضوء المتغيرات المعاصرة

وفي ضوء المتغيرات المحلية والعالمية المعاصرة وما أفرزته من تحديات فإن على الصوفى أن يفهم دوره فهمًا جيدًا وأن يعرف طبيعة الوسيلة التي يستخدمها في نقل فكرته للجمهور، ويدرس الاهتمامات المتغيرة للناس، والمستويات المختلفة للجماعات التي تشكل جمهور المستقبلين لرسالته بوجه عام، ثم يقوم بتكييف هذه الرسالة حسب متطلبات كل وسيلة من الوسائل التي يستخدمها، ويراعي القدرات المختلفة للجماهير التي يحاول التأثير فيها، وأن يستوعب كل شئ عن المشاكل والقضايا المطروحة في مختلف مجالات الحياة، ذلك لأن الصوفى يمثل قيم الإسلام ومبادئه.

لذا يجب أن تتضافر الجهود في إعداد الصوفيين إعدادًا يتناسب مع طبيعة العصر الحاضر، حتى يستطيعوا أن يقوموا بالعبء المُلقى على عاتقهم على الوجه الأكمل وعمل الدعوة إلى الله ليس من الأعمال النافلة في الأمة، بل هو من أساسيات المجتمع الإسلامي، لذا يجب أن تتضافر جهود العلماء والمتخصصون في الدعوة والتربية وعلم النفس والاجتماع، ووسائل الإتصال وغيرهم في عملية إعداد الصوفيين لتكامل الجوانب الشخصية لديهم بما يساعدهم على القيام بوجباتهم على الوجه الأكمل على أن يكون الإعداد متضمنًا ما يلي:

**أولاً: حسن الإختيار**

إذا كانت جميع دول العالم تدقق جيدًا في إختيار الكوادر الصالحة في المجالات الهامة كمجالات السياسة والأمن والإقتصاد، وتبذل في ذلك جهدًا كبيرًا فإن إختيار الصوفى يجب أن يكون أكثر دقة، بما يتفق مع خطورة دورهم وقوة تأثيرهم في الجمهور.

والصوفى الذي يُرتجي في هذا العصر ينبغي أن يُنتقي من أفضل العناصر البشرية، بأن يتصف بمزايا عديدة وصفات محددة وواضحة وهادفة، كالمهارات الإتصالية والقدرات الفكرية التي تمكنه من توجيه الجماهير وحشد طاقاتهم وزرع المفاهيم والقيم التي يعكسها هذا الدين.[١٨]

ولابد أن يكون الإختيار على أسس علمية بدلًا من الوسائل الشخصية لما للإختيار العلمي من فوائد عديدة،[١٩] ولا يترك إختيار الصوفى من بين صفوف الأمة لظروف تفرضها، مما يدفع بالعجزة والقاصرين إلى هذا المجال الحساس فيكون الضرر لا النفع، وإن دين الله أرقى وأشرف من أن نتعامل معه بهذا الإسلوب.

**ثانيًا: التثقيف والتعليم الجيد**

في عصرنا الحاضر الذي يوصف بالمعلوماتية فإن الثقافة العامة ضرورية للصوفى في عمله، فيجب أن يُعد إعدادًا ثقافيًا وعمليًا ومهنيًا ليكون على علم واسع بأساسيات العلوم المختلفة وثوابتها دون التعمق في تفصيلاتها ليكون على وعي بمشكلات مجتمعه وقضايا عصره، وبالواقع المحيط بجوانبه المختلفة، وبقدر سعة ثقافته يكون أكثر نجاحًا في رسالته وأكثر تأثيرًا في الجمهور بالإيجابية على كل ما يشغلهم من تساؤلات، مستشهدًا بالدليل في محله الصحيح عن علم ومعرفة متحدثًا بلغة عصره وعلى وعي بشمولية الدين الإسلامي، وقدرته على حل المشكلات في ضوء تعاليم الدين.

وتعد الثقافة الواعية الشاملة المتنوعة لدى الصوفى هي العنصر الأساسي في التجديد، ولا يخفى أن قضايا كثيرة جدت على الساحة لم تكن موجودة من قبل هي في حاجة إلى دراسة وبحث واجتهاد، وكل ذلك لن يكون من الخاملين القانعين بثقافة

العامة.[٢٠]

ولا يكتفي في إعداد الصوفى بالثقافة الإسلامية فقط، بل يجب أن يتناول الإعداد الثقافات المختلفة كعلم النفس والفلسفة والأخلاق والتاريخ وغيرها من الثقافات المعاصرة، حتى يكونوا على علم وبصيرة بما يحدث في المجتمعات من حولهم، وحتى يستطيع التعامل مع الجمهور المتباين في الثقافة، وأسوء شيئ يواجه الصوفى في ميدان العمل أن يتحدث إلى قوم حديثًا يُنبئ عن قصور فكره أو عدم فهمه،وسيجد مستمعوه أنهم أعرف منه بالحياة.[٢١]

والإعداد الثقافي للصوفى يجب أن يلاحظ فيه الكمال والتكامل حتى يكون الإنسان مطلعًا على أحوال العالم من حوله وقادرًا على مواكبة متغيراته وما أفرزته من أشكاليات، ووضع الحلول الإسلامية لهذه المشكلات المعاصرة، ومن أنواع الثقافات اللازمة في إعداد الصوفى ما يلي:

١- الثقافة الإسلامية. ٢- الثقافة التاريخية. ٣- الثقافة الأدبية واللغوية. ٤- الثقافة الإنسانية.

وبالتالي فإن على الصوفي أن يحيا حياة علم وفكر وثقافة واسعة تمكنه من ملاحقة إيقاع الحياة السريع، حتى يستطيع معايشة الأحداث الجارية، ومعطيات العصر العلمية والتكنولوجية، لأن هذه الأحداث هي التي يصوغ منها رسالته الدعوية، والروحية، والأخلاقية.

## رابعًا: الخطاب التربوي عند التيار الصوفي

يحتل الخطاب الصوفي دورًا مهمًا في الثقافة الإنسانية وذلك لثرائه وقدرته على مزاحمة الخطابات الكبرى في الثقافات البشرية، لما يكتنزه من أبعاد معرفية، وما يلعبه من أدوار حضارية حكمت بتجدده وانفتاحه، حيث أنه يتنبى خطابًا تربويًا مُوثرًا، له طابع خاص تتنوع فيه المجالات التربوية، حتى تشمل كل جوانب الإنسان، فالخطاب التربوى الصوفى يهدف فى أصل نشأته إلى تربية الإنسان وتهذيبه.

ويعرف **الخطاب التربوى الصوفى** بأنه هو الأفكار والقيم والمفاهيم والمعتقدات التى يحملها الفكر الصوفى، بهدف غرس قيم حب الله تعالى، وحب الرسول ﷺ، ثم الزهد فى الدنيا، والتقرب إلى عبادة الله تعالى وحده، ثم فعل الخير بكل أشكاله، ووطاعة الله تعالى، والتمسك بسنة النبى ﷺ، وعملًا بأقوال علماء الصوفية الصادقين، بهدف إعمار الحياة الدنيا، لتكون طريق للأخرة[٢٢].

## أولًا: الأسس الفلسفية للخطاب التربوي عند الصوفية:

يتسم الخطاب التربوى الصوفى بأنه خطاب واضح ومحدد، يعود إلى المرجعية الإسلامية التى تستمد أصولها من الكتاب والسنة، ثم الصحابة والتابعين، ثم سير الصالحين، من أقطاب التصوف عبر تاريخ التصوف الإسلامى، والخطاب التربوى الصوفى متسق فكريًا، وقد ظهر اتساق هذا الخطاب بصورة واضحة من خلال الأسس والمنطلقات الفكرية المتمثلة فى الحديث عن الله تعالى، وعن الكون، والذات الإنسانية، والمعرفة، والقيم، وهذه الأسس والمنطلقات تُمثل الإطار المرجعى والأيدلوجى الذى يتحرك هذا الخطاب من خلاله، فهى الموجهة له فى تحديد القضايا التى تناولها هذا الخطاب، وفى تحديد فلسفته تجاه الإنسان المعاصر، وفيما يلى يعرض الباحث لأهم المنطلقات الفكرية لدى التيار الصوفى.

### ١ –التوحيد

**الألوهية** هى كبرى قضايا القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد ورد ذكر الله تعالى فى القرآن باللفظ الصريح "الله" كما ورد ذكره تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته، وقضية العقيدة هى الموضوع الرئيسى فى القرآن كله، كما أنها الركيزة التى الأولى التى يقوم عليها عقيدة الإنسان، فالله تعالى هو الجامع لجميع المحامد والفضائل بنفسه لنفسه دون احتياج إلى وصفه من أحد، المنزه عن كل نقص، فهو الصفاء بلا ماء، واللطف بلا هواء، والروح بلا جسم، والنور بلا نار[٢٣].

**والتوحيد** بهذه الكيفية يجعل من المتصوفة نورًا يتدفق على حياتهم، فهم يتجهون إلى الله تعالى لا يهمهم شئ سواه، مما يجعلهم يجهرون بالحق ولا يسخافون فى الله لومة لائم، وهذا المنهج فى التوحيد حينما يحكم حركات الصوفى يجعله سهلًا لينًا مع الناس، وينظم حركاته مع المجتمع، ومع زملائه، فلا يتكبر على أحد، ولا يغتر، ولا ينافق، فيعيش فى سلام إنسانى عام.

ولم يهتم الصوفية بالبعد النظري في التوحيد – إقامة البراهين والحجج – وإنما اهتموا بالجانب العملي، وخاصة في توحيد الربوبية المتعلق بارتباط الخلق مع الخالق، فالتصوف: تدريب النفس على العبودية وردها إلى أحكام الربوبية، وبهذا المعنى تصبح فكرة التوحيد تجربة نفسية يخوضها السالك وليست أمرًا نظريًا يتعقلة الصوفي، وإنما هى تجربة نفسية يخوضها السالك يستشعر فيها ضعف الحدث وعظمة الواحد(٢٤).

والتيار الصوفى يهتم بتوحيد الله تعالى، لأن هذا الأساس من الأسس الفلسفية لديهم، فالتوحيد هو أصل الدين، وهو قائم على أن الله تعالى حق ثابت، قبل إثبات المثبت، وهو واجد هذا الكون، وهو خالق الإنسان، ومن ثم فقد طبعت نظرتهم وأذواقهم بالطابع الذاتى النفسى، ولذا قنعوا بالأدلة القرآنية الواردة فى التوحيد وتفهموها بعقولهم وَيَتَقَّنُوهَا بقلوبهم وفاضت مشاعرهم بمعانى التوحيد ومتعلقاته.

وبالتالى فإن يُعد التوحيد أحد الأركان الرئيسية للعقيدة الإسلامية إذ أنه يتضمن الإيمان بالله إضافة إلى تفصيل أبعاد هذا الإيمان، ومن ثم فهو يشكل أحد الأطر الرئيسية التى يُنبى عليها الفكر الصوفى، كأحد اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى، فمنه تستمد التربية أهدافها ومناهجها وأساليبها وأنشطتها وبه تؤتى التربية ثمارها.

## ١- الكون( مكونات الذات الإنسانية)

وتعبتر النظرة إلى **الكون** من أهم محددات السلوك الإنسانى وكذلك ارتباطها بالخالق سبحانه وتعالى، بمعنى أنه إذا كان الله تعالى خالقًا فإن خلقه هو هذا الكون، وإذا كان الله تعالى قادرًا فإن قدرته تتبدى فى هذا الكون القائم(٢٥).

ويعتبر الإنسان ( بكافة مكوناته ) المادة الخام التى يقع عليها فعل التنشئة والتربية، فهى تتوجه إليه بكافة مؤثراتها وأطرها الفكرية وأساليبها العملية لتتولى تشكيله وبناءه، ولكى تنجح التربية فى هذه المهمة لابد أن تنطلق من تصور واضح لمكونات الذات الإنسانية وأبعاد التفاعل بينها كى يتسنى صياغة المناهج واختيار الأساليب بما يتناسب مع هذا التكوين.

والاتجاه الصوفى ينطلق فى نظرته لمكونات الذات الإنسانية من تحديد ثلاثة مكونات أساسية هى: (الروح، والنفس، والقلب)، ويتم التفاعل بين هذه المكونات على أساس الصراع بين الروح والنفس فى القيادة، والقلب تابع ومتوجه إلى من تنحسم مادة الصراع إلى صالحه، وهذا يتطلب معرفة وجهة نظر الصوفية فى ماهية مفردات التكوين ومراتبها ليتم تفسير التطبيقات التربوية فى ضوء وجهة نظرهم لمكونات الإنسان.

وبالتالى فإن اهتمام الصوفية بالحياة الروحية للإنسان، لم يقف حائلًا دون الاهتمام بالجسم، سواء كان ذلك الاهتمام ناشئًا من كون الجسد هو الوعاء الحامل للروح، والاعتناء به هو اعتناء بها أيضًا، أم كان هذا الاهتمام ناشئًا من أن للجسد حقوقًا أوجبها الله تعالى على الإنسان، وعلى أى من الاعتبارين فإن الجسد قد لقى لونًا من الاهتمام فى فلسفة التصوف الإسلامى الذى تولى عناية خاصة بالحياة الروحية والخلقية[٢٦].

ويرى الصوفية من خلال تحليل مكونات الذات الإنسانية أن هناك أبعادًا معرفية ليس فى نطاق العقل إدراكها بذاته، وإن كانت بالجملة فى مقدور الذات الإنسانية من خلال تفعيل وسيلة أخرى وهى البصيرة التى يتسع نطاقها المعرفى عن حدود العقل ودور العقل فى هذه المعرفة هو إدراك ما تسمح به البصيرة، أى التلقى فقط وبقدر توسعة دائرة العلاقة بين العقل والبصيرة، من خلال تمسك العقل بمبادئ الشرع يكون اتساع روافد هذا النوع من المعرفة، وهذا يفرض على التربية أن تعمل بكل وسائلها للتوصل إلى هذا النوع من المعرفة والذى يتسق مع البعد الروحى للفكر الصوفى.

والعلاقة بين مكونات الذات الإنسانية عند الصوفية تقوم على أساس الصراع بين النفس والروح لاختلاف أصل التكوين، وتقوم التربية بعامل الحسم لمادة هذا الصراع، ولهذا تضمن التطبيق التربوي الصوفي عمليتين متناقضين هما ( التخلية ، والتحلية ) والعملية الأولى ضرورية للثانية، ومن ثم قام الخطاب التربوى الصوفى على أساس من التحليل النفسي لمعرفة الصفات المذمومة، وكيفية تكوينها، وطرق علاجها، وطريقة تحويلها إلى صفحات محمودة، كي تنجح التربية في توفير الصحة النفسية للصوفي.

**٢- المعرفة**

تعد **المعرفة** خطوة أساسية نحو اكتساب المهارات وتكوين الاتجاهات المرغوب فيها، بحيث لا يستطيع أن يبنى الإنسان لنفسه مهارة أو قدرة علمية فى أى مجال دون أن يكون له معرفة بأصولها ومبادئها[٢٧]، فالله تعالى قد خلق الإنسان ولم يتركه بل زوده بوسائل الإدراك والمعرفة، حتى يتمكن من أداء رسالته التى خُلق لها، والقيام بوظائفه التى كُلف بها من الخلافة فى الأرض، وعمارتها، والعبادة الخالصة لله تعالى وحده، وهذه حقيقة قرآنية بؤكدها الواقع، فأصبحت حقيقة تاريخية وإنسانية وعلمية.

ولذلك فلقد جاءت رؤية المتصوفة متوافقة مع المنهج المعرفى الإسلامى، والذى جعل مصادر المعرفة متنوعة بين الوحى، والعقل، والقلب، والإلهام، فلإسلام لم يقف عند اعتبار المعرفة نظرية، كما قال أفلاطون، ولا عملية كسبية كما ادعى بيكون وهيوم، ولكنه يؤكد على الجانبين معًا، كما أكد على مكانة الخبرة[٢٨].

تختلف معالجة الصوفية لمبحث المعرفة عن كل الاتجاهات في الفكر الإسلامي، فهي تتميز بخصوصية مطلقة في كافة أبعادها، ومن ثم لا يجوز الحكم عليها في ضوء تصورات مختلفة لأنها تختلف من حيث الموضوع، والوسائل، والخصائص فموضوع المعرفة الصوفية يتعلق بالميدان الميتافيزقي حيث يرتبط بعالم الملكوت، ومن ثم فهو موضوع يخرج عن حدود الحواس كأحد وسائل المعرفة العامة ، كما يخرج عن حدود إدراك العقل المجرد في ذاته دون التأييد بالبصيرة.

تتميز المعرفية الصوفية بأنها خاصة وليست عامة، ومن ثم فهي ذاتية نسبية وليست ظاهرة بشرية عامة، بل تجربة نفسية خاصة لا تصلح للكشف والتصنيف والقياس، ولا تكون موضوع ملاحظة وتحليل وتقويم على غرار ما هو في مجال المعرفة العقلية، كما أنها تعتمد على التذوق والوجدان، فلا تكتسب بوسائل معتادة في نقل المعرفة وبثها وتعليمها ولا تخضع لأساليب نقدية أو عقلية أو تجريبية أو إبداعية، إنما معرفة ذات طبيعة خاصة تقوم على الحدس والإلهام والكشف والشهود.

ولقد اهتمت الصوفية بالمعرفة اهتمامًا كبيرًا، وجعلتها من أصولها الفلسفية التى تنطلق منها دعوتها الصوفية، وجعلت فقه المعرفة أساسًا لحركة التصوف لديها، شريطة أن تستغل هذه المعرفة فى إصلاح حال الفرد والمجتمع، وهذا هو الهدف الذى يسعى إليه التصوف الراشد إلى تحقيقه فإذا صلح الفرد صلح المجتمع، فالتصوف هو سبيل الإصلاح، أو كما يُسمى علم فقه المعرفة[٢٩].

وبالتالى فإن المعرفة عند الصوفيين تحتل مكانة ذات أهمية بالغة، إذا أنها تكشف حقيقة السبُل التى يسلكها المتصوفة لمعرفة الله تعالى، ومعرفة الله هى مقياس نباهة الإنسان وسر تفوقه على سائر المخلوقات الأخرى،

ومن هنا يتبين ويتضح لنا أن المعرفة تأتى بالمجاهدة والتعلم وهذا رأى المتصوفة الثقات ومنهجهم فى تحقيق المعرفة أمثال الإمام الغزالى، والشيخ محمد الغزالى، وابن تيمية، وابن القيم، والقشيرى، وابن خلدون، وجلال الدين الرومى، والشعراوى، وأحمد عمر هاشم، وكذلك هو منهج صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم وما استقر عليه العلم منذ بعثة الرسول ﷺ إلى يومنا هذا.

وبالتالى فإن الخطاب التربوي عند الصوفية انطلق في مجاله التطبيقي من خلال رؤية محددة وواضحة لمجموعة من الأسس النظرية التي شكلت الإطار الفلسفي للتربية الصوفية، وقد تمثلت هذه الأسس في الأساس الاعتقادي ( التوحيد )، والأساس المعرفي ( المعرفة )، والأساس الإنساني ( مكونات الذات الإنسانية )، وقد أدت

خصوصية الرؤية الصوفية لهذه الجوانب إلى تمايز الجانب التطبيقي في التربية عند الصوفية عن غيرهم من الاتجاهات الأخرى.

**٣- القيم**

تُعد القيم لِدى الصوفية جانبًا مهمًا فى الإصول الفلسفية لفكر التيار الصوفى، وأن الالتزام بالقيم الروحية الصوفية أمرًا واجبًا على المجتمع، خاصة حين تكثر الفتن، وتتنوع الاضطرابات فى المجتمع، يقول أحد أعلام الصوفية الشيخ محمد زكى إبراهيم لقد جربنا العودة إلى الله، والصلح معه، والاعتصام بالقيم الروحية، والأصول الأخلاقية فى الخمسة الأيام الرهيبة الحزينة، ويقصد بذلك أيام نكسة عام ١٩٦٧م، بدءًا من يوم ١٩٦٧/٦/٥م، فأكثرنا من ذكر الله وتضرعنا إليه فى خلوتنا وتجمعاتنا، فكان العرب قلب واحد، ورجل واحد، ونُسى ما مضى كله، ولم يبقى إلا الحاضر وما يقتضيه حله،[٣٠] لذا فإن الصوفية تجعل انتشار القيم مسئولية المجتمع، وهدفًا يجب أن يعمم فى جميع أنحاء المجتمع، وفى جميع نواحيه الاجتماعية.

وانتشار القيم يُعد من صميم الدين، لذا قد اهتمت الصوفية بنشر القيم الإسلامية الصوفية العظيمة، بين أتباعها، والسائرين على نهجها سواء من خلال مطبوعاتها، أو من خلال خطب الجمعة التى تُلقى فى المساجد التابعة لها، أو من خلال المحاضرات والندوات التى تُلقى هنا أو هناك، أو من خلال تفعيل هذه القيم سلوكيًا ظاهرًا بين المريدين والتابعين[٣١].

ولقد حظيت القيم والأخلاق في الفكر الصوفي بمكانة بارزة، لأنه لا يتم بنيان التصوف، ولا تنهض دعائمه إلا على أساس متين من القيم والأخلاق، ولهذا ركز الصوفية على التربية الخلقية انطلاقًا من مسلمة أساسية وهي قابليتها للتغيير والتعديل، وقد تنوعت وسائل الصوفية في ذلك بين التبصير الأخلاقي، والممارسة العملية، وتوفير وسط اجتماعي أخلاقي، مثل الجانب الوجداني بما يتضمنه من عواطف، ومشاعر، وانفعالات، وغرائز بعدًا هامًا من أبعاد التربية الصوفية، لأنه – أي الوجدان – في إطاره الكلي هو

الجانب المؤهل لتذوق المعارف الصوفية فعلومهم كلها أنباء عن وجدان.

ومن ثم فقد اهتم الفكر الصوفي بتربية وتقويم وتعديل كافة العناصر المشكلة لهذا الجانب، وحددوا بعض الوسائل التي تعين على ذلك ومنها: الانتفاضة على الرذائل، ومراقبة الخواطر ومحاسبة النفس.

## ثانيًا: مجالات الخطاب التربوى عند الصوفية

للخطاب التربوى دورًا مُهمًا عند الصوفية، لأن الصوفية تهدف لإى أصل نشأتها إلى تربية الإنسان وتهذيبه، والارتقاء بإنسانيته، والسمو بفكره، لذا كان على الصوفية أن تتبنى خطابًا تربويًا مؤثرًا، له طابعه الخاص به، تتنوع فيه المجالات التربوية، لكى تشمل كل جوانب الإنسان، ومن هنا فإن مجالات الخطاب التربوى عند الصوفية تتمثل فيما يلى:

### ١- التربية العقلية

تُعرف التربية العقلية بنهت هى تنمية الطاقات العقلية وتدريبها فى سبيل استخدامها فى الخير، بحيث تصل إلى النضج الفكرى فى طريق بناء الشخصية الإسلامية العابدة[٣٢]، فالتربية العقلية هى تكوين فكر الفرد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والعلمية والعصرية والثقافية، والتوعية الفكرية والحضارية حتى ينضج فكرياً ويتكون علمياً وثقافياً، ولا تقل التربية العقلية أهمية عن سابقتها من المسؤوليات والمجالات التى سبق ذكرها (الإيمانية، والخلقية، والجسمية)، فالتربية الإيمانية تأسيس، والتربية الجسمية إعداد وتكوين، والتربية الخلقية تخليق وتعويد، أما التربية العقلية فإنها تعليم وتوعية وتثقيف[٣٣].

وبالتالى فإن التربية العقلية تهتم بتنمية الجانب العقلى للإنسان، وتعتمد فى ذلك على عمليات عقلية محددة مثل الإحساس، والتذكر، والاستظهار، والإدراك، وهذه العمليات ترتفع إلى ما هو أعلى من ذلك، حيث تصل إلى الإبداع والاجتهاد والابتكار.

واستنادًا إلى ما سبق يمكن القول، بأن الخطاب التربوى عند الصوفية قد حقق أهداف التربية العقلية والتى تتمثل فيما يلى:

أ- تنمية العقل الإنسانى، حيث تضلع بتزويد العقل بالعلم والمعرفة، وتنمية وظائفه المختلفة[٣٤].

ب- تنمية الاتجاهات العقلية البناءة لدى الأفراد، مثل التحرر العقلى من قيود التقليد الأعمى، والعادات والتقاليد البالية، والخرافات والأساطير، والقدرة على النقد الهادف[٣٥].

ت- تجنيب الأبناء المفاسد التى تُفسد العقول، أى تنمية التفكير لدى الأفراد.

ث- التشجيع على الإبداع والابتكار، وغرس حب القراءة والمطالعة لدى الأفراد.

وبالتالى فإن التربية العقلية أحد مقاصد التربية عند الصوفية، حيث أنها اهتمت بتربية العقل، حتى لا يكون إيمان المسلم المتصوف إيمانًا قائمًا على النقل فقط، وحتى لا تكون العبادات مجرد عادات، بل لابد من تفعيل أعظم نعمة أعطاها ومنحها الله تعالى للإنسان ألا وهى نعمة العقل.

## ٢- التربية الخلقية

تعرف التربية الأخلاقية بأنها عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسنا وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقاً سيئًا[٣٦].

أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هى ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ والتنشئة الدينية الصحيحة، فالفرد منذ نشأته على الإيمان بالله ويتربى على الخشية منه والمراقبة له والاستعانة به، تصبح عنده الملكة الفطرية، والإستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والإعتياد على كل خلق فاضل كريم، لأن الوزاع الدينى الذى تأصل فى ضميره، والمراقبة الآلهية التى ترسخت فى أعماق وجدانه، والمحاسبة النفسية التى سيطرت على تفكيره وإحساساته كل ذلك بات حائلًا بينه وبين الصفات

القبيحة والعادات السيئة وإقباله على الخير يصبح عادة من عاداته، والمكارم والفضائل تصير خلقاً من أبرز أخلاقه وصفاته[٣٧].

ومن هنا فإن التربية الخلقية هى من أهم المسؤوليات والآفاق التى تقع على عاتق الصوفية فى هذا العصر، لأن المجتمعات فى هذا الزمن قد تحولت بشكل ملحوظ عن القيم الأخلاقية، وتغيرت نظرة الناس إلى الحياة مما نتج عن ذلك بروز أخلاقيات غير صالحة، لذا فقد وجب على الصوفية أن يربوا المريد على الأخلاق الصالحة التى نادى بها القرآن الكريم والرسول ﷺ، وعلماء وشيوخ الصوفية الصادقين المخلصين.

ومن المسلم به أن التربية الخلقية هى روح التربية الإسلامية، وأن الوصول إلى الخُلق الكامل هو الغرض الحقيقى من التربية الصوفية الإسلامية، حيث أن الهدف الأسمى من التربية تهذيب الخلق وتربية الروح.

وبناءًا على ما تقدم فإن الخطاب التربوى للصوفية قد حقق أهداف التربية الخلقية من خلال ما يلى:[٣٨]

أ- ترسيخ عقيدة الإيمان فى قلب المريد، ليدرك مفهوم الدين والعبادة والعمل بمقتضاها، والأمر بالمعروف والنهة عن المنكر.

ب- استعادة تميز الأمة، والعمل على تحقيق وحدتها، والتركيز على مبدأ العلم للعمل.

ت- تنشئة الفرد على الشعور بالمسئولية الخلقية تجاه الجماعة، وصون عقيدتها ونظامها الأخلاقى وكيانها الاجتماعى من مختلف عوامل التفكك والانحلال.

ث- التأكيد على الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن المستقيم، وتكوين الراقيب الأخلاقى الذاتى.

### ٣- التربية الروحية

يعتمد المنهج التربوى الصوفى على التصور الروحانى الذى يتسق مع الإنسان من حيث مصدر خلقه، ومركزه فى الكون ووظيفته فى الحياة وغاية وجوده، وتتجسد فى توحيد الله تعالى، أو بمعنى آخر تحرير الإنسان ونقله من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ولذا

فإن التربية الروحية هى التربية التى تعمل ضمن منهج قرآنى إلى تملك القدرة النفسية بطريقة المجاهدات، لتسخيرها طواعية فى تطبيق حقائق الأمور الشرعية باطئمنان ورضا ويقين[٣٩].

وبالتالى يتبين أن مفهوم التربية الروحية يستمد أصوله من الإيمان بالله تعالى، ثم العمل بشرعه وتعاليمه، ثم الالتزام بالعقيدة والأخلاق، والموزانة بين مطالب الدنيا والأخرة، دون إفراط أو تفريط، فالتربية الروحية بذلك هى التى تحدد المعيار الصحيح لتنمية مختلف جوانب شخصية الإنسان.

وبناءًا على ما تقدم فإن الخطاب التربوى للصوفية قد حقق أهداف التربية الروحية من خلال ما يلى:

أ- الارتقاء بالجانب الروحى لدى المريد أو الإنسان القادر على تغيير الحياة الفكرية بالتجربة الروحية، وجعل القلب الإنسانى عرشًا للرحمة والمحبة والتعاطف والتسامح.

ب- تهذيب الخلق الإنسانى، ليسهل على المريد الوصول للخالق سبحانه وتعالى والتقرب إليه.

ت- تقوية العلاقة بين الإنسان وخالقه، وذلك عن طريق العبادات والاجتهاد فى الطاعات.

ث- مساعدة الانسان فى معرفة خالقه والتوجه إليه.

**٤- التربية الجسمية**

ويقصد بها تربية الأفراد على قوة الجسم وسلامة البدن، ومظاهر الحيوية والنشاط، والقدرة على العمل والسعى الدائب على الكسب[٤٠] ، كما تعرف التربية الجسمية بأنها تلك العملية التى يقوم الفرد خلالها بنشاط جسمانى منظم، بهدف تنمية قدرات الجسم المختلفة، وزيادة كفاءته الحركية، وما يرتبط بذلك من اكتساب مهارات حركية معينة، واتباع عادات صحية سليمة. وذلك من أجل التكيف مع متطلبات الحياة فى المجتمع[٤١].

ولقد نبه الغزالى كل من الشيخ أو والمربى إلى أهمية اللعب فى حياة الفرد أو المريد ويبين لهما ما للعب من قيمة باعتباره أداة تساعد على تربية المريد وتعليمهم ووسيلة

يعبرّ بها الفرد عما يتراكم عليه من متاعب أثناء عملية التعليم، ولم يقتصر الغزالى بإبراز قيمة اللعب بل نصح الوالدين فى تربية الأبناء أن يحببوا إليهم المشى والحركة والرياضة[٤٢] ، وقد أشار الغزالى إلى ذلك بقوله( إن الصبى أمانة ينبغى أن يؤذن له بعد الإنصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب من اللعب فإن مُنع الصبى من اللعب وإرهاقه بالتعلم الدائم يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسًا)[٤٣].

وبالتالى فإن الخطاب التربوى للصوفية قد حقق أهداف التربية الجسمية والتى يُجملها الباحث من خلال ما يلى:

أ- تعويد الأفراد على الرياضة الجماعية.

ب- تعويد الأفراد على تناول الأطعمة الصحية.

ت- تربية الأفراد على المحافظة على أجسامهم.

ث- توفير الصحة عن طريق النمو السوى للفرد، والمحافظة على الطاقات الجسمية.

## ٥- التربية الاجتماعية

تُعرف التربية الاجتماعية بأنها النشاط الذى يهدف إلى تنمية قدرات الفرد واتجاهاته، وغيرها من أشكال السلوك الاجتماعى ذات العلاقة الإيجابية فى المجتمع الذى يعيش فيه حتى يمكن أن يحيا حياة سوية فى المجتمع، ويتضمن ذلك إكساب الفرد الطابع الاجتماعى، وتنمية قدراته الاجتماعية بما يُمكنه من فهم المجتمع، والإسهام بفعالية فى نشاطه، وتحمل مسئولياته تجاهه، ومساعدته على التعامل الناجح مع أفراده، وتيسير اندماجه فى الحياة الاجتماعية، وكذلك فهم المجتمعات الإنسانية، والتكيف الإيجابى مع متغيراتها وأحداثها[٤٤].

وتقوم التربية الاجتماعية على تحقيق ما يلى[٤٥]

١- تنظيم حياة المريد: كاللباس، والنوم، ودخول المنزل والخروج منه، والطعام والشراب، ومعاملة الأهل والأبناء والآباء.

٢- تنظيم المريد بالجماعة الفاعلة: فعلى المريد الطاعة المطلقة للشيخ ظاهرًا وباطنًا، واستشارته فى شؤونه كلها، كما على الشيخ معاملة المريدين بالحكمة والشفقة والارتقاء بهم، وأن يكون لهم ملجئًا وراعيا.

٣- تنظيم العلاقات الداخلية بين الأصحاب والمريدين، وبث ونشر قيم تربوية واجتماعية أساسية وهامة والتى منها( الايثار، والصفح، وخدمة الآخرين، وستر العيوب، واجتناب الجدل، والبعد عن الخلاف، والمودة، والصلة والإحسان، والبعد عن الغيبة، وطهارة القلب من الحقد والحسد).

٤- تنظيم علاقة المريد مع المجتمع، وهذه العلاقة تقوم على ما يلى:

- موالاة الأشخاص عند الطاعة ومجافاتهم عند المعصية.
- الحذر من صحبة المقصرين، مع الشفقة والرحمة.
- مصاحبة الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل والسخاء.

ومن هنا فإن الخطاب التربوى عند الصوفية قد حقق أهداف التربية الاجتماعية، وذلك من خلال ما يلى:

أ- مساعدة المجتمع على بناء علاقات اجتماعية مطبوعة بالانسجام والتعاون والتكافل.

ب- تقوية الروابط بين المسلمين، ودعم تضامنهم عن طريق تقريب الأفكار والاتجاهات والقيم.

ت- مساعدة المجتمع الإسلامى على تنميته ذاته اقتصاديًا.

ث- المساهمة فى تطوير المجتمع الإسلامى، والعمل على تكيفه مع مقتضيات الحياة المعاصرة مع الحفاظ على الهوية الإسلامية.

### ٦- التربية الصحية

تُعرف التربية الصحية بأنها عملية تربوية تسعى إلى ترجمة الحقائق الصحية المعروفة إلى أنماط سلوكية صحية سليمة على مستوى الفرد والمجتمع، وذلك باستعمال الأساليب التربوية الحديثة(٤٦).

ومن هنا فإن ملامح التربية الصحية عند الصوفية تتمثل فيما يلى:

- محاربة المسكرات بكل صورها وأشكالها، ويدخل فى ذلك التدخين وإدمان المخدرات.
- الدعوة إلى الرضاعة الطبيعية للطفل.
- الدعوة إلى استخدام الأعشاب الطبية فى علاج بعض الأمراض.

وبناءًا على ما تقدم فإن الخطاب التربوى عند الصوفية قد حقق أهداف التربية الصحية، وذلك من خلال ما يلى:

أ- العمل على تغيير مفاهيم الأفراد فيما يتعلق بالصحة والمرض، لتكون الصحة هدفًا لهم.

ب- العمل على نشر الوعى الصحى بين المجتمع كله.

ت- تكوين وتدعيم المفاهيم الصحية السليمة لدى أفراد المجتمع.

ث- تشجيع وتحفيز المشروعات الصحية، والمساعدة على تحقيق أهدافها.

### الخلاصة

تنوعت مفاهيم التصوف بوجه عام، وقد انطلق الصوفية في فكرهم من مجموعة من المصادر أهمها: القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وثقافة المجتمع، وحددوا أسسًا للتعامل مع هذه المصادر، وصنفوا العلم بناء على معيار أساسي وهو إرتباط العلوم بالشرع أو عدم إرتباطها، مع التركيز على وظيفيته، ونفعيته للمجتمع، فقط جعلوا العلم والمعرفة أساس تشكيل صورة المجتمع المسلم، ونظرًا لارتباط الصوفية بكافة علاقات المجتمع فقد برزت لديهم مضامين تربوية تشكل أسسًا للتربية لحالة استثنائية من حالات المجتمع وهي التربية الروحية.

وتتميز الصوفية برؤية ومنهج فكري مختلف عن بقية الاتجاهات، فلم ينطلقوا من كثير من الغايات التي تسعى إليها التربية المعاصرة من تحليل وتركيب، وتنمية القدرات العقلية بمختلف درجاتها، وإنما إنطلقوا من تزكية النفس، وتنقية الوجدان، وسمو الروح، مرتكزين على مجموعة من الأسس: التوحيد وفق رؤيتهم، والمعرفة حسب مفهومهم، والطبيعة الإنسانية حسب تحليلهم، وقد انعكس الإطار النظري المستمد من هذه الأسس على جوانب التطبيق سواء في مجال الأهداف أو الوسائل أو المجالات، وأننا لسنا في حاجة إلى تصوف يخرِّج لنا مريدي الدروشة، والسبحة، والعصا، والخاتم، والعمامة، والشال، والطواف على الأضرحة، والرؤى والمنامات، وغشيان الحفلات، والتصدر في المجالس، والتصوير مع شيوخ الصوفية المشاهير ،ولكننا في حاجة إلى تصوف يخرِّج لنا العلماء الربانيين، والدعاة الصادقين، والمسلمين الصالحين، والقادة المصلحين.

## المراجع


١- أبى نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهانى: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص ص ١٧- ٢٠.

٢- أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى: أساس البلاغة، تقديم محمود فهمى حجازى، الجزء الثانى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٢.

٣- دائرة المعارف الاسلامية: تحقيق إبراهيم زكى خورشيد وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكرى، الإمارات، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، المجلد التاسع، ص ٣٢٨.

٤- عبدالكريم بن هوزان القشيرى: الرسالة القشيرية فى علم التصوف، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٠٠.

٥- أبو بكر محمد بن اسحاق البخارى الكلاباذى: التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجى، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٩.

٦- ابن عجيبة الحسنى: مصطلحات التصوف من واقع كتابه مراجع التشوف إلى حقائق التصوف( عربى- فرنسى)، تقديم عبدالحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣.

٧- محمد صبرى الدالى: التصوف وأيامه دور المتصوفة فى تاريخ مصر الحديث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ص ٢٣.

٨- أبو الوفا الغنيمى التفتازانى: الطرق الصوفية فى مصر، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، محلد ٢٥، الجزء ٢، ١٩٦٨م،ص ٦٦.

٩- المرجع السابق: ص ص ٦٧-٦٨.

١٠- محمد زكى إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الرابع، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ص ٢٤٦- ٢٤٧.

١١- فريد دى يونج: تاريخ الطرق الصوفية فى مص فى القرن التاسع عشر، ترجمة عبدالحميد فهمى الجمال، الهئية المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص ٣٢- ٣٣.

١٢- مشيخة عموم الطرق الصوفية: لائحة الطرق الصوفية الصادر بها أمر الخديوى فى تاريخ ٦ من ربيع الأول سنة ١٣٢١هـ – ٢ من يونيو سنة ١٩٠٣م، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٢هـ- ، ص ص٤-٥.

١٣- السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، الجزء الأول، ط٢، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص ١٣٠.

١٤- أبو الوفا الغنيمى التفتازانى: الطرق الصوفية فى مصر، مرجع سابق، ص ٧١.

١٥- زكريا سليمان بيومى: الإخوان المسلمون بين عبدالناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢م- ١٩٨١م، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٧٣.

١٦- محمد زكى إبراهيم: أبجدية التصوف الإسلامى بعض ما له وما عليه، ط٥، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، د- ت، ص ١٧٥.

١٧- عبدالله بن دجين السهلى: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، كنوز إشبليا للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص ص٨٤- ٩٤.

١٨- إسماعيل دياب، عبد الرحمن النقيب: من آفاق البحث في التربية الإسلامية، الجزء الثاني، بعض القوى والعوامل المؤثرة على الدين الإسلامي لدى الشباب الجامعي، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٨٣م، ص٣٦.

١٩- على الدسوقي: إختيار الأفراد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د:ت)، ص١٦٣.

٢٠- سالم محمود عبد الجليل: تجديد الخطاب الديني، مجلة دراسات إسلامية، العدد التاسع، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٨١.

٢١- محمد الغزالي: مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، مكتبة أخبار اليوم، القاهرة، د – ت، ص٢٠١.

٢٢- خالد عبدالله القرشى أحمد: الخطاب التربوى عند الطرق الصوفية المعاصرة فى مصر، رسالة دكتوارة، كلية التربية، جامعة بنها، ٢٠١٦. ص ٨٠.

٢٣- أحمد عمر هاشم: زاد الداعية، دار غريب، القاهرة، ب- ت، ص ٣٢.

٢٤- عبد الله الشاذلى: التصوف الاسلامى فى ميزان الكتاب والسنة، الجزء (٢)، دار الهداية للنشر والتوزيع، القاهرة، د- ت، ص ٣٧٩.
٢٥- عبدالغنى عبود: التربية عند الإمام الغزالى كما يبدو من رسالته أيها الولد، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٥٩.
٢٦- محمود صديق سلطان: فلسفة التربية فى التصوف الإسلام مدخل للحفاظ على الهوية العربيةالإسلامية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٢م، ص ١١٠.
٢٧- عبدالفتاح العيسوى: نظرية المعرفة فى الفكر الإسلامى، دار الوفار لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٣٩.
٢٨- على عبدالعظيم: فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ٩٤.
٢٩- محمد زكى إبراهيم: يا ولدى مختارات فى معانى التصوف وقواعد الدعوة إلى الله، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م، ص ١٨١.
٣٠- محمد زكى إبراهيم: الرائد، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص ٢٠٥.
٣١- زينب حسن حسن: الأسس الفلسفية للخطاب التربوى عند الطريقة المحمدية الشاذلية دراسة تحليلية، مجلة المعرفة التربوية، الجعية المصرية لأصول التربية، بنها، المجلد (٣)، العدد (٦)، ٢٠١٥م، ص ٦٤.
٣٢- على خليل مصطفى: فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم، ط (٢)، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٥٩.
٣٣- محمود سمير المنير: الموسوعة العلمية الحديثة فى تربية الأبناء، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠٠٥م، ص ص١١٠-١١١.

٣٤- عبدالجواد سيد بكر: فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث الشريف، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٣٠٤.

٣٥- عبدالحميد الصيد الزنتانى: أسس التربية الإسلامية فى السنة النبوية، ط (٢)، الدار العربية للكتاب، لبيا، ١٩٩٣م، ص ٥٣٧.

٣٦- على بن محمد السيد الجرجانى: معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوى، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د- ت، ص٨٩.

٣٧- محمد فؤاد مرسى: علم مناهج التربية الأسس- العناصر- التطبيقات، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص١٤٨.

٣٨- محمد على عليوة عزب: التربية الخلقية فى الفكر الصوفى، رسالة دكتوارة، كلية التربية، جامعة الزقازبق، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ص ص ٥٤- ٥٥.

٣٩- محمد شيخانى: التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين، دار قتيبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص ١٧.

٤٠- محمود سمير المنير: الموسوعة العلمية الحديثة فى تربية الأبناء، مرجع سابق، ص١٠٩.

٤١- سعيد إسماعيل على: اجتماعية المعرفة فى الفكر التربوى الإسلامى، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٥٦.

٤٢- سهام محمد بدر: اتجاهات الفكر التربوى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١١٨.

٤٣- أبى حامد الغزالى: إحياء علوم الدين، الجزء (٣)، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، أندوسيا، د- ت، ص٧١.

٤٤- رضا سعيد هاشم عبدالعزيز: مقومات التربية الإجتماعية فى الإسلام دراسة تحليلية، رسالة دكتوارة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ١٩٩٥م، ص ١٧.

٤٥- عبدالحكيم خليل: الأسس التربوية بالمجتمع الصوفى، مرجع سابق، ص ص ٢٤٧-٢٤٨.

٤٦- بهاء الدين سلامة: الصحة والتربية الصحية، دار الفكر العربى، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١١.